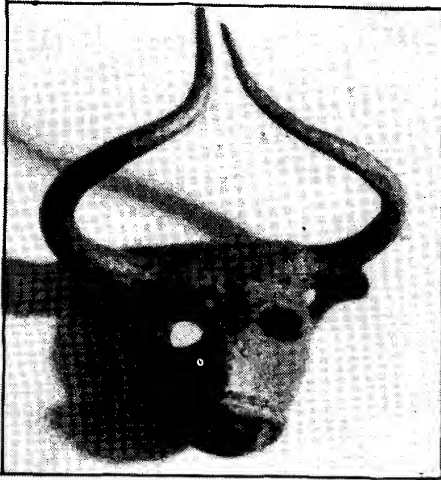
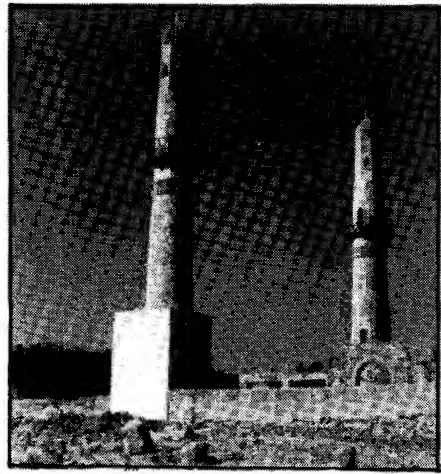


البحرين كما يراها الرحالة العرب

اعداد : د. علي أبا حسين



● رأس الثور... من آثار دلمون



● مسجد الخميس

٣ چون

لقد شهدت ضفاف الخليج حضارات عريقة في القدم
توجتها الحضارة العربية الاسلامية التي انارت شمسها
بلاد الغرب حتى اذا خل العصر الحديث اتجه الرحالة نحو
المشرق مطلع سراج الدنيا ومصباح الحضارة البشرية نحو
الجزيرة العربية وما حولها لمعرفة كنهها وسر تقدمها
فاتجهوا نحوها بدافع ذاتي قصدهم حب المعرفة أحيانا
وبدافع سياسي يخططون لمستقبل دولهم الاستعمارية فمنهم
من انتحل أسما آخر غير اسمه الحقيقي أو ان بعضهم ادعى
الاسلام واستطاع ان يحقق الهدف الذي سعى من أجله
فوصفوا البلاد التي مروا بها وصوروا نقوش آثارها
ورسموا الخرائط الجغرافية وكتب بعضهم عن القبائل
والأسر وانسابها وعن الخلافات القبلية والمذهبية
والسياسية وعن العادات السائدة لدى العرب كطلب الثأر
وعادات الزواج كما وصفوا مساكنهم وماكلهم ومنتجات
بلادهم وكان منهم من يحمل معه آلات وأجهزة لقياس
درجات الحرارة والرطوبة واتجاه الرياح وتحديد المواقع
حتى ان منهم من وصف الحيوانات الأليفة والبرية
والنباتات المزروعة منها والطبيعية وكانت كتاباتهم سجلا
أفاد القادة الذين سيطروا على تلك البلاد مستعينين
بالخرائط التي رسمها الرحالة وبالمعلومات السياسية
والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة هناك ومن
انتحل أسما غير اسمه (بوركهارت) الانجليزي الذي تسمى
باسم (الشيخ ابراهيم المسلم) واصدر كتابا سماه (ملاحظات
عن البدو) وذلك عام ١٨٠٩م حول قبيلة (شمر) ومواضعها
وعاداتها. بينما كتب (ستيزن) عام ١٨٠٢م عن قبيلة (عنزه)
بعد ان عاش بينهم ثلاثين عاما تعرف على أحوالهم وعاداتهم
وكان (ستيزن) مستشارا لاحدى الامارات الالمانية التابعة
وقتئذ لقيصر روسيا أما (دمينجو باديا ليبليس) الرحالة
الاسباني فقد سمي نفسه (علي بن العباس) ورحل الى الحجاز
وما حولها ولم يصل الى الخليج العربي ثم نشر رحلته عام
١٨١٤م ومن الرحالة الذين مروا (بالبحرين) وكتبوا عنها :

لورويسو فارتيميا : الرحالة الايطالي الذي كتب اسفاره الى هرمز ومسقط وقال ان هرمز تستورد كميات كبيرة من اللؤلؤ من البحرين وذلك لانه احسن اللؤلؤ واستمرت رحلاته من ١٥٠٣ - ١٥٠٨ م وارفق اسفاره بخريطة نشرت ضمن كتابه المسمى (رحلات فارتيميا) المترجم للانجليزية من الايطالية.

فهرانهو لوبزدي كاستانيدا وقد كتب كتابا بعنوان (تاريخ اكتشاف البرتغاليين طريق الهند) وفيه وصف البحرين وحملة يبرو عليها ١٥١٤م والتي تبعد نحو مائتي ميل عن هرمز والبحرين جزيرة كبيرة غنية بالمياه العذبة والخضراوات والأشجار ويسكنها قبائل عربية.. وحول جزيرة البحرين يكثر الجوهر واللؤلؤ والأسماك ويبيع سكانها اللؤلؤ على التجار فتدر عليهم أرباحا طائلة وكان اللورد الذي لم يذكر اسمه كملك أو أمير أو شيخ البحرين وقتئذ يأخذ ضرائب على التجار الذين يبيعون اللؤلؤ^(١)

باربوسا البرتغالي والذي كتب عن موانئ البحر الأحمر والخليج العربي كهرمز وقريات ومسقط وجلفار حيث أشار الى رأس الخيمة بالاسم في كتابه الذي انراه عام ١٥١٦م أما ما كتبه عن البحرين فلم يكن دقيقا لا في وصفها ولا في موقعها الجغرافي اذ جعلها على الساحل الشرقي للخليج العربي ومثل ذلك ما كتبه عن الاحساء. ولكنه سمى البحرين

بجزيرة (باريم) ويسكن فيها تجار كبار وأشخاص كرماء وموقعها في الخليج موقع حيوى وتتوجه اليها السفن الكثيرة تحمل البضائع المتنوعة وتوجد فيها اللآلئ الكبيرة والصغيرة وهي من أحسن الأنواع.

أما الرحالة (بيريز) المتوفى عام ١٥٤٠م فقد وصف البحرين بقوله :

ان الجزيرة الرئيسية في الخليج هي (البحرين) وتمتاز بتوفر أفضل أنواع اللؤلؤ فيها حيث ليس له وجود في مناطق أخرى غيرها ويشكل جزءا مهما من تجارة هرمز ذلك لأن هذا النوع من اللؤلؤ يمتاز بأنه انصع بياضا واكثر استدارة من غيره.^(٢)

أما الرحالة (يان هيوجن فان لنشوتن) الهولندي الأصل فقد وصف الخليج العربي ١٥٩٨م وحين ذكر الناس في هرمز قال انهم يأتون بالماء من بحر البحرين عن طريق مكائن عميقة يخرج الماء العذب من تحت الماء المالح للبحر ويصلح للشرب لأنه من أحسن الأنواع. وليس هناك مكان أحسن من البحرين لصيد اللؤلؤ وفيها الذهب والفضة والمعادن الأخرى وملك جزيرة البحرين يحافظ على هذه الثروة تحت الأرض ولا يسمح بتنقيب الأرض لاستخراجها ولقد كان لوصف (هيوجن) لموانئ الخليج وغيرها اثر في تمكين القوى الاجنبية من معرفة فساد الاستعمار البرتغالي مستغلة ذلك للقضاء على البرتغاليين في الخليج والشرق الاقصى^(٣) ومن كتاب الرحلات البرتغاليين

(بيدرو تكسيرا) الذي كتب عن البحرين في مستهل القرن السابع عشر.

وقد كتب الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) في أسفاره التي بدأت في ٩ فبراير ١٦٠٤م من (جوا) الى هرمز ومنها الى البصرة مارا بالبحرين فقال : تشتهر جزيرة البحرين بلالئها كما وكيفا وهذا موضوع اذكره باختصار لانه معروف عامة. توجد في الشرق مغاصتان كبيرتان احدهما في البحرين في الخليج والثانية في (مانار) بالقرب من سيلان.

ويبتدىء موسم صيد اللؤلؤ في البحرين في شهر يونيو أو في يوليو عادة ويستمر الى اغسطس ويتكون الاسطول من ٢٠٠ سفينة (من نوع طرادة) ١٠٠ منها للبحرين و٥٠ لجلفار و٥٠ من نخيلو، وتمتاز «لآليء البحرين» وتتفوق جميع الأنواع الأخرى من حيث المواصفات والوزن. اذا قارنا لؤلؤتين احدهما بحرينية وثانيتها أخرى من نفس الحجم فتتفوق لؤلؤة البحرين وزنا. ان قيمة اللؤلؤ سنويا في اللآليء الصغيرة والعادية تبلغ ٥٠,٠٠٠ دوكات دون أن يؤخذ في الاعتبار قيمة اللآليء المهربة وهي حوالى ١٠٠,٠٠٠ دوكات لأن التهريب يتم خوفا من مصادرة المندوب البرتغالي في البحرين، وتستخدم معدلات القيراط أوقيلات أو عبس (٣ عبسات تساوى قيراطا واحدا) والمتقال (ويساوى المتقال ٢٤ قيراطا أو ٧٣ جراما تقريبا) ويتم

تصنيف اللآليء الصغيرة على أساس ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ لكل مثقال. يغوص الغواصون البحرينيون الى عمق ١٢ أو ١٥ غورا (والغور) يساوى عمق ٦ أقدام وأشار المحقق في الهامش قوله : وتمتد (جزيرة البحرين) الى ٣٠ ميلا طولا و٩ أميال عرضا وطبقا لتقرير ورد من الهند يمتد موسم الصيد من يونيو الى أكتوبر وان شواطىء البحرين تجرى الى ٤ أو ٥ اغوار اي ما بين ٢٤ - ٣٠ قدما وانها من أغنى السواحل ومؤكدة من حيث الانتاج. وأورد الرحالة (جون بيتسته تيرنيه) في رحلته التي قام بها عام ١٦٤٣ - ١٦٤٤م عن البحرين قوله : وتوجد في الخليج العربي جزر عديدة أهمها جزيرة البحرين حيث يمارس الناس صيد اللؤلؤ في مغاصاتها. كما توجد قلعة متينة فيها ويحرسها حرس يبلغ عددهم نحو ثلاثمائة نسمة وفي البحرين ماء عذب لكنه يكلف كثيرا^(٤).

وفي كتاب مخطوط بعنوان (الرحلات في تركيا وايران) لمؤلفه (جين اوتر) الذي كان قنصلا في البصرة سنة ١٧٤٠م والذي جاء فيه : ان الهولة والعتوب انتد تمردوا ضد طهماسب خان وهنا أقدم اشارة (للعتوب) في كتاب مطبوع في أوربا ١٧٤٠م ويشمل المخطوط اشارة أخرى للعوتوب في ص ٥٦ و٥٨ من اوتر الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ ١٦ يوليو ١٧٤٠م قبل الحركة المذكورة قوله : اذا استطاع اسطول طهماسب

مواجهة الهولة والعتوب الذين فرضوا الهزيمة على اسطوله وحجزوا عددا من سفنه وانهم حرروا البحرين^(٥).

وكتب (كوبمان) في رسالة مؤرخة في ١٥/١٠/١٦٩٠م قوله سافرت الى (البحرين) في ١٩ يوليو في مركب صغير استأجرته لمدة شهرين لاختبر صيد اللؤلؤ نيابة عن الشركة واتخذ اجراءات أخرى لازمة في البحرين في مجال تجارة اللؤلؤ. يتضمن هذا التقرير نتيجة اختباراتي في الموضوع. أود أن أقول في البداية بأن اللؤلؤ هناك يقسم الى ٣ أنواع واسماؤها كبيسة وبارجة وبى ويتضح هذا من العينات المرفقة من اللآلىء التى تم صيدها. تباع الكبيسة بأوزان أقل بمقدار ٣,٥ حبة لأن العرب يعتبرون نصف أونس وزنا ثقيلًا وأسعارها تتراوح بين ١٣٠ أو ١٤٠ أو ١٥٠ محمديا حسب اللون الأصفر فيها أو سوادها أو استدارة شكلها. وتباع البارجة بنفس الأوزان لـ ٦٠ أو ٧٠ محمديا لنفس الاعتبارات وتباع بي بواقع ١٦ أو ١٧ محمديا لنفس الأوزان وبالنسبة للكبيسة يجب الملاحظة أن الأسعار المذكورة لا تشمل اللآلىء الدائرية منها ووزنها ٢,٥ حبة أو أكثر ويتم كيلها وتقدير ثمنها منفردة. ويستخدم ٢٤ معيارا لتصنيف اللآلىء حسب أنواعها الثلاثة.

ووصف (اباكارى) في اسفاره للخليج العربي خلال الأعوام من ١٦٧٢م - ١٦٧٤م فقال بأن

البحرين تتعرض لغزاة يقودون سفنا مسلحة ويتصرفون كأنهم أصحاب مغاصات اللؤلؤ^(٦).

وفي رحلة بحرية في الخليج العربي قام الملازم (وليام هويدى) عام ١٨١٧م بوصف جزيرة البحرين الذي قال انها تشتهر بمغاصات اللؤلؤ حولها وبعيون المياه العذبة التى تنبثق من قاع البحر فيخرج الغواصون الماء العذب منها ولا نعرف كثيرا عن صناعة اللؤلؤ ولكن شاهدنا عددا كبيرا من أنواع مختلفة من اللؤلؤ البحريني الذي هو أحسن شكلا من لآلىء سيلان لكنها تفقد لونها وبريقها بعد ثلاثين عاما من استخراجها ويبدو ان هذه الملاحظة مجرد وهم اذ أن اللؤلؤ يبقى محافظا على بريقه ولونه بعد مرور ثلاثين عاما^(٧).

وجاء في تقرير مؤرخ في عام ١٨٠٢م ان قيمة انتاج اللؤلؤ في البحرين تصل الى خمسمائة ألف روبية مما اكسب العتوب في البحرين قوة كافية وذلك في عهد الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة الذي فتح البحرين فلقب بأحمد الفاتح^(٨).

وجدير بالذكر فان (فالانتاين) قد كتب تقريرا وافيا أشار فيه الى ما كتبه الغربيون عن أماكن صيد اللؤلؤ وان صيادى اللؤلؤ يدفعون لشيخ البحرين ضريبة مقابل تأمين سلامتهم في مواضع الصيد فقال : ان الاشارات الأولى لدور الانجليز في الخليج العربي تبدأ حين عاد أحد البريطانيين واسمه (رالف فتش) وزملاؤه الى بريطانيا

وقصوا على السلطات هناك عن الثروات الطائلة التي بالامكان جمعها عن طريق التجارة والتي شاهدها في رحلاتهم حتى اقتنع الانجليز بانشاء شركة ايست انديا (شركة الهند الشرقية) في عام ١٦٠٠ فوضعت بريطانيا لها موطىء قدم في الخليج العربي تحت ستار من التجارة وساعدهم شاه ايران مقابل مساعدتهم له ضد البرتغاليين.

وقد وصف الرحالة (رالف فنتش) البحرين ولأثها الكروية والتي راها تصدر الى اسواق هرمز وهي أجود أنواع اللآلئ.

أما (شاردن) مبعوث الحكومة الفرنسية لدى ايران بين ١٦٧١ - ١٦٧٧م فكتب في مذكراته قوله : (توجد مصائد اللؤلؤ عبر شواطىء الخليج العربي وخاصة حول جزيرة البحرين) و(تافرنير) الفرنسي هو الآخر عقد فصلا في كتابه عن اللآلئ وأماكن وجودها قال فيه توجد مصائد اللؤلؤ بالدرجة الاولى حول جزر البحرين.

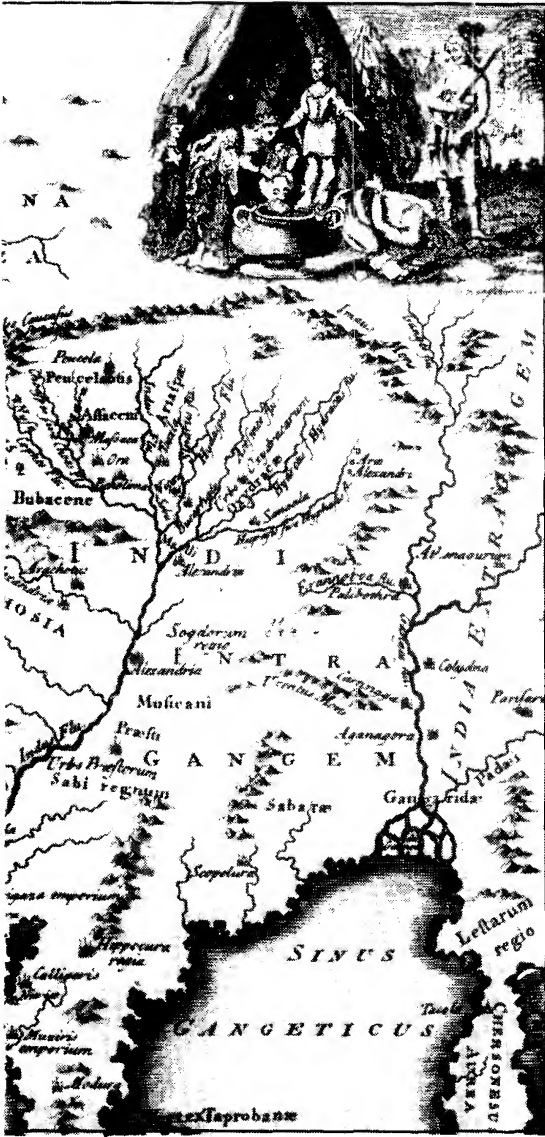
وفي ١٧٦١م رحلت سفينة تقل خمسة متخصصين في فروع علمية منهم الجراح والنباتي وعالم باللغات وفنان ومهندس منهم (كارستين نيبور) الذي وصف موانىء الخليج العربي ورسم خريطته في ١٧٦٥م والتي أورد فيها البحرين وقطر وفريجة ولكن لم يذكر الزبارة في قطر وهذا دليل على انها لم تنشأ بعد اذ ان تأسيسها كان في ١٧٦٦م على يد الشيخ محمد بن

خليفة آل خليفة.

واضاف ان للمتولى على البحرين قوة عسكرية تحافظ على الأمن في مغاصات اللؤلؤ وتدفع له الرسوم.

ووصف الرحالة (نيبور) ١٧٦٥م جزيرة أوال وما حولها من الجزر والتي تقع في الجهة الغربية من الخليج العربي وأكبرها جزيرة أوال وكذلك تحمل كل جزيرة أسما خاصا بها ونظرا لأهمية هذه الجزر من حيث صيد اللؤلؤ فقد درت عليها الأموال الطائلة وتقدر الرسوم التي جبيت على اللؤلؤ والتمور نحو ثلاثمائة ألف ليفر فرنسي أو ما يعادل مائة ألف روبية هندية وكان المتولى على البحرين هو الذي تدفع له الرسوم المذكورة وله قوة عسكرية يحافظ بها على الأمن في مناطق الغوص وفي بلاده وهذه الرسوم لتسديد نفقات المحافظة على الأمن. وكتب (رينال) بعد سنتين من رحلة نيبور ١٧٦٧م ان البحرين تشتهر بلآلئها وهي اكثر شهرة وأهمية من السواحل الأخرى في الخليج تلك التي قلت فيها اللآلئ بينما البحرين غنية بها ويمارس العرب هذه المهنة ويؤدون رسوما الى شيخهم في جزيرة البحرين الذي يملك أسطولا حربيا يقوم بدوريات بحرية في شواطىء الغوص على اللؤلؤ^(٩).

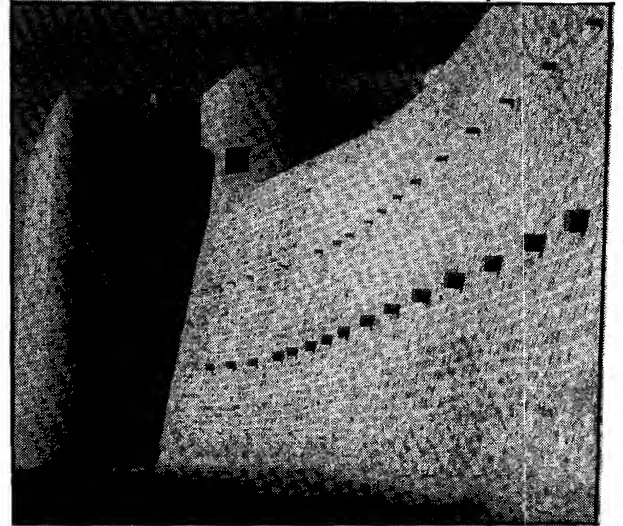
وقال (رينال) في عام ١٧٦٧م ان سفن الغوص تدفع لشيخ البحرين رسوما وذلك لأن له أسطولا عسكريا يدافع عنهم في مغاصاتهم. بينما ذكر المقيم (بروس) في الخليج



١٨٠٤ - ١٨٢٢م ان حاكم البحرين يأخذ على كل سفينة رايلا واحدا اتباعا للعرف وان له سبع سفن حربية تحميهم وترافقهم.

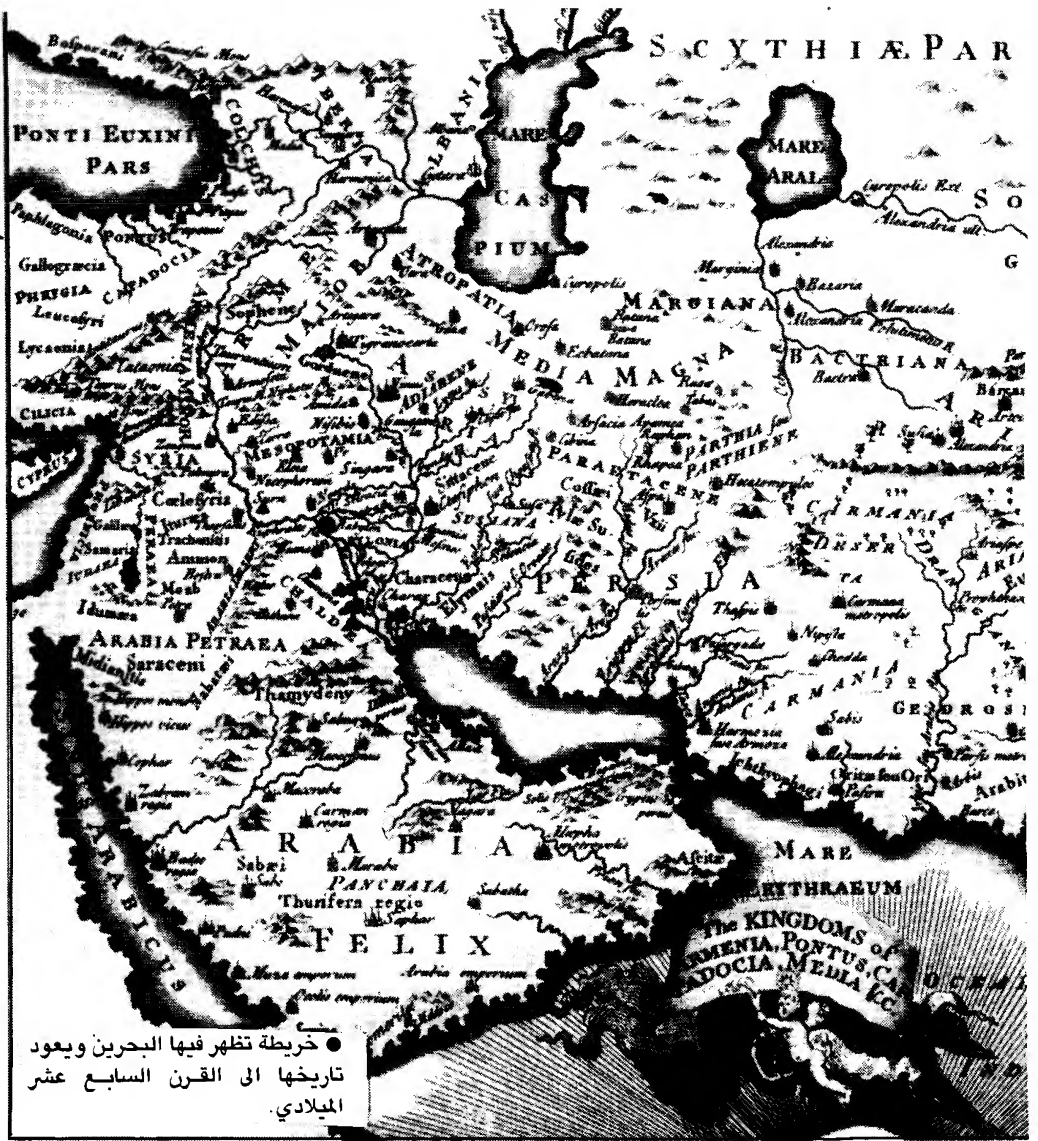
أما (ديوراند) فأورد في عام ١٨١٦م ان شيخ البحرين يفرض ضريبة وله أربع سفن حربية مسلحة وله سهم من الغوص وكتب (ولسن) المقيم بالخليج ١٨٢٧ - ١٨٣١م ان عدد سفن غوص البحرين ١٥٠٠ سفينة وهم يدفعون عن كل سفينة ٥ كراون لشيخ البحرين.

وذكر القبطان (بروكس) ١٨٠٠ - ١٨٢٩م ان ٣٠ ألف مستخدم في الغوص للبحرين وهم يعملون على ٢٤٣٠ سفينة وفي كل سفينة ٨ - ٢٠ شخصا ويدفعون ضريبة مقابل الدفاع عنها ولشيخ البحرين ٥ سفن حربية مجهزة بالاسلحة ويستطيع تجهيز ١٥ - ٢٠



● قلعة البحرين

سفينة حربية أخرى. وفي مذكرات كامبل المقيم المساعد في الخليج ١٨٤٤م قوله ان : لشيخ البحرين اسطولا حربيا لحماية الغوص ثم أخذت بريطانيا على عاتقها حماية الغوص مع الاعتراف بحق شيخ البحرين حسب العرف والعادة. وفي (رحلات الى مدينة الخلفاء عبر الخليج العربي والبحر المتوسط) عام ١٨٤٠م للرحالة (وليسند) يقول (ولسن) بأن سكان البحرين



بها فيقول : تكسوها الخصرة أكثر من أى مكان في الخليج. واسم خليج البحرين يطلق على الجزء المقابل لجزيرة البحرين والذي سماه بطليموس (تيارا) ودعاه (سترابو) تيارا وعند البرتغاليين (بحاريم) وتزداد أهمية البحرين بمرور الزمن لخصوبة تربتها ووفرة مياهها العذبة ومحاصيلها المتنوعة وموانئها الرائعة ويقول انني معجب بالبرتغاليين حين اختاروا البحرين وهرمز كأماكن هامة

يستخدمون سفنهم في مغاصات اللؤلؤ الواقعة بين البحرين والقطيف وتعود السفن لموانئها حيث يتم فيها فتح المحار وينشط الغوص في موسم الصيف في يوليو واغسطس وحتى منتصف سبتمبر ويأخذ شيخ البحرين ضريبة تتراوح بين ٣ - ٥ دولارات على كل سفينة حسب حجمها وبلغت حصيلة موسم هذا العام حوالي اربعة ملايين دولار. ويستطرد (ولسن) فيصف البحرين حين مروره

لهم ومن الضروري للانجليز ان يهتموا بهذه الأماكن في مياه الخليج. في البحرين نحو خمسة آلاف نسمة ومصدر رزقهم اللؤلؤ حيث تزاوّل البحرين نشاطا تجاريا مكثفا مع الموانئ الاخرى في الخليج بصورة خاصة. ومركزها (المنامة) في الركن الشمالي للجزيرة وهي مدينة رئيسية طولها حوالى عشرين ميلا وعرضها ضيق وفيها مرتفعات في الوسط. وفي حالة المد يغطى ماء البحر العيون العذبة بارتفاع ١٢ قدما^(١٠).

وفي عام ١٨١٩م قام الكابتن (ج) فورستر سادلير) برحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف على الخليج العربي الى ينبع على البحر الاحمر وفيها ذكر عن عتوب البحرين والكويت وذكر طرفا عن انساب بعض القبائل العربية.

أما (جيمس هورسبرغ) المتخصص في علوم البحار فقد كتب في (مرشد السفن للأسفار من وإلى جزر الهند الشرقية) عن البحرين وذكر ان (تانيير) قد زار البحرين عام ١٨١٧م في طراد يسمى (سائك) وفيما يلي وصفه للبحرين :

خرجنا من ساحل بردستان باتجاه الجنوب حتى وصلنا الى خط العرض ٢٧ درجة شمالا. وهنا يجب الحذر من الصخور والألوان المتغيرة للماء التي يمكن مشاهدتها من بعيد واذا سرنا في الاتجاه المختار بدقة نصل الى مغاصات البحرين في حوالى ٢٦ درجة و ٥٠ دقيقة شمالا في خط العرض ومن

هنا تبتدىء مياه ضحلة تتراوح أعماقها من ١٥٠ قدما الى ١٨٠ قدما وأحيانا الى ٨٤ قدما ثم الى ٦٠ قدما وقاعها رملي.

وان كانت الرياح مناسبة أو كان السفر في ساعات الليل فيجب سبر الاعماق بدقة وأن تكون على أهبة الاستعداد لالقاء المرساة اذا وجدت العمق غير كاف واقل من العمق المتوقع وتتغير الاغوار جنوبا من ٥٤ قدما الى ٤٨ قدما وتهبط أحيانا من ٥٧ قدما الى ٤٢ قدما. ولا بد من العناية بتيارات المد والجزر لانها تكون قوية خاصة وأنت تقترب من جزر البحرين واتجاهها شرق جنوب الشرق وغرب شمال الغرب.

وان كانت الرياح معاكسة للسير تختار الاتجاه بين ٤٥° و ٥٠° و ٥١° شرقا لسلامته لانه توجد أخطار خارج هذه الحدود على الجانبين ولا يعرف عنها الملاحون الغربيون شيئا.. وعندما تصل الى خط العرض ٣٠° ٢٦° أو ٢٨° ٢٦° شمالا يمكنك ان تشاهد الاشجار على جزيرة عراد وتسمى هذه المنطقة (النتوء الصخري) وهي في الجنوب الغربي وعلى بعد حوالى ٣ أو ٤ فراسخ على اختلاف اغوارها من ٤٨ قدما الى ٢٢ قدما. وان كنت تقصد المرسى في الشمال الغربي فعليك ان تختار محلا في غرب عراد وان كنت تقصد موضعا في الجنوب الشرقي فعليك ان تختار محلا في جنوبها. ان جزيرة البحرين أعلى ارتفاعا من عراد.

جزيرة عراد

تمتد الجزيرة باتجاه شمالي جنوبي وتحيط بها صخور القليعة والصخور الأخرى التي تمتد في بعض الأحيان الى ٤ أو ٥ أميال في اتجاه الشمال الغربي من (البروز الصخري).

ان المرسى في الجنوب الشرقي يقع في الجانب العكسي للجزر ما بين (الدبيل) و (قشت القليعة) وموضعه في خط العرض ١٦ ٢٦° شمالا أو ١٢ ٢٦° شمالا وانه مأمن من الرياح من جميع الجهات بسبب تواجد الصخور حوله وهو موقع مثالي للجوء اليه ان كانت تقصد أية سفينة الوقوف هنا لاكثر من ٣ أيام لكنه صعب المنال نسبيا من المرسى الآخر (أى في شمال غرب) والممر المائى المؤدى اليه بسلام معقد ولا يمكن الدخول اليه دون مرشد وتتوفر خدمات المرشدين دائما ويأتى المرشد فور اعطاء الاشارة ليقود السفينة الى المرسى أو يأتى الاشخاص من زوارق صيد اللؤلؤ ويعرضون خدماتهم لارشاد السفينة مقابل بضع روبيات. وفي ٢١ أغسطس ١٨٢٩م قام القبطان (جورج بارنز بروكس) وهو يعمل في البحرية الهندية برحلة بحرية في الخليج العربي وكتب تقريرا جاء فيه (ان سلطة حاكم البحرين معترف بها من (راس ركن) الى (البدع) جنوبا وتمتد على جزر (حوار) غربا بالاضافة الى جميع المدن وموانئ الساحل

الغربي لقطر واليك مقتطفات من تقريره :

الفويرط : انها مدينة صغيرة يسكنها حوالى ١٥٠ نسمة من البوكواره والعتوب وهم من رعايا البحرين.. وتوجد فيها بعض المواشى والمياه وتتخللها بعض التلال.

رويس : مدينة صغيرة شبه مدمرة يبلغ عدد السكان حوالى ١٠٠ نسمة من البوكواره والعتوب وهم من رعايا البحرين ومعظمهم يشتغلون بصيد السمك.

راس ركن : جزيرة صغيرة واطئة وسلطة حاكم البحرين معترف بها من النقطة (المذكورة) اى من راس ركن الى البدع جنوبا وعلى جزر حوار غربا.

ابو الظلوف : تقع مقابل راس ركن وتخضع للبحرين ويسكنها حوالى ٥٠ نسمة من البوكواره ومعظمهم سماكون.

يوسفية : قرية صغيرة وفيها قلعة تخص البحرين. ويبلغ عدد السكان فيها حوالى ٥٠ نسمة وكلهم سماكون.

خور حسن : قرية صغيرة للبحرين وفيها حوالى ١٠٠ نسمة من البوكواره والعتوب ومعظمهم سماكون (وفيها قلعة مربعة لشيخ البحرين) (كتبت فيها الاتفاقية بين الدولة العثمانية وشيخ البحرين عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م).

فريحه : قرية صغيرة للبحرين وفيها بعض السفن التجارية وحوالى ١٥٠ نسمة من البوكواره والبنعلي

21 AUGUST 1829

MEMOIR

563

DESCRIPTIVE OF THE

NAVIGATION OF THE GULF OF PERSIA;

CAPTAIN GEORGE BARNES DRUCKS,

RAYBORRAIDGE.

Rayborraidge is a small village, at the back of Bahrein, on the main, in lat. $25^{\circ} 57' 20''$ N., long. $61^{\circ} 6' 20''$ E. Between this and Bahrein the water is shoal, and full of patches. Towards Bahrein the reefs extend a considerable way off the island, and render it quite unsafe for navigation. It has about one hundred and fifty inhabitants, Uttoobers of the Bahrein Tribe.

DOOAT AL UFZAN.

Dooat al Ufzan is an inlet running in on the western side of these islands, with shoal water over rocky ground. The bottom of it is in lat. $25^{\circ} 31' 1''$ N., long. $51^{\circ} 1' 50''$ E.

WARDEN'S ISLANDS.

Warden's Islands is a group of eight or nine islands and rocks, extending from lat. $25^{\circ} 46' 25''$ N., long. $50^{\circ} 55'$ E., to lat. $25^{\circ} 33'$ N., long. $50^{\circ} 53' 20''$ E. The principal is called Al Howahk, and is about four miles long. It has two fishing villages on it, and belongs to Bahrein.

RAS SEVID.

Ras Sevid is in lat. $25^{\circ} 36' 15''$ N., long. $50^{\circ} 53' 30''$ E., and forms the eastern point of Dooat Eselva. It is moderately high and broken land.

DOOAT ESELVA.

The bottom of Dooat Eselva, or the southern part of the bight, is in lat. $25^{\circ} 8' 55''$ N., long. $50^{\circ} 42' 20''$ E. The bight or inlet called Dooat Eselva is formed by Zuenonce and Ras Sevid, and runs in about twenty-seven miles nearly due southward, and has deep water in it.

CEBIL MOWAH.

Cebil Mowah is a moderately high hill, in lat. $25^{\circ} 19'$ N., long. $50^{\circ} 34' 15''$ E.

FORT AND ISLAND OF ZICHOAGE.

The fort is in lat. $25^{\circ} 33' 55''$ N., long. $50^{\circ} 24' 46''$ E. The island is about four miles long, and nearly two broad in some parts. The fort is on its western side, near the centre. The inhabitants are about four hundred, of the Alassar Tribe, and acknowledge the nominal authority of the Sheikh of Bahrein. Nearly opposite to this, distant about twelve miles, is the southern point of Bahrein, called Ras-ool-Blur, or Point of the Don, in lat. $25^{\circ} 46' 20''$ N., long. $50^{\circ} 33' 30''$ E.

بقية جزيرة ... ومنها ومن البحرين الى السماء السابعة ... راس مال
الملاحة ... ريدو سكانها حوالي ... نسبه وهم من تنوب البحرين .
جزر حوار : انها مجموع ٨ ازار ٩ جزر ... واكثرها الجوار ودارها حوالي ٤٠٠
تدعى فيها قريتان للسكان وان هذه الجزر تملكها البحرين .
هذه جزيرة الزخونيه : تمتد الى ٤٠٠ اسان ويريد بها حوالي مئتين تن
البحر تدور سكانها ... من بين هذه الواحده نصف السكان يدهم ، وانهم البحرين

21 August 1829

MEMOIR

DESCRIPTIVE OF THE

NAVIGATION OF THE GULF OF PERSIA;

CAPTAIN GEORGE BARNES BRUCKS,

BOOKSHOOF.

Bookshoof, in lat. $26^{\circ} 7' 50''$ N., long. $51^{\circ} 16'$ E., is on the nearly opposite Ras Reecan, and is subject to Bahrein, having fifty men of the Abookara Tribe, mostly fishermen.

YAMALE.

Yamale, in lat. $26^{\circ} 5' 40''$ N., long. $51^{\circ} 14'$ E., is a small village.

YOSSEB.

Yossef, in lat. $26^{\circ} 5'$ N., long. $51^{\circ} 14'$ E., is a small village, with fort, belonging to Bahrein. It has about fifty inhabitants, of which tribes, all fishermen.

KHOA HASSAN.

Khor Hassan is in lat. $26^{\circ} 4' 20''$ N., long. $51^{\circ} 10' 55''$ E. It is a small village, with a square fort, belongs to Bahrein, and has about one hundred inhabitants, of the Abookara and Uttoobee Tribes, principally fishermen.

FEYRAHA.

Feyraha is a small village, in lat. $26^{\circ} 2'$ N., long. $51^{\circ} 9'$ E. It belongs to Bahrein, and has a few trading boats belonging to it. It has about one hundred and fifty inhabitants, of the Abookara Tribe, principally fishermen.

ZOBARA.

Zobara is in latitude 26° N., long. $51^{\circ} 8' 30''$ E. It is a large town, now in ruins. It is situated in a bay, and has been, before it was destroyed, a place of considerable trade. The inhabitants are of the Tribe of Alassar, and subject to Bahrein; a number of Gna Nujdee horses are still exported from this place. This was originally the principal place of the Uttoobee Tribe, until they separated.

ابا الطولون : تقع مقابل رأس ركن وتقع للمحريين بيوتها حوالي ٥٠ نسمة من البوكارة ومطاهم ساكون .

يوسف : انها قرية صغيرة ومبها قلعة وهذه القرية للمحريين . يبلغ عدد السكان فيها حوالي ٥٠ نسمة وكلهم ساكون .

خور حسن : قرية صغيرة للمحريين ومبها قلعة مربعة ومبها حوالي ١٠٠ نسمة من البوكارة والعنوب ومطاهم ساكون (ومبها قلعة لشيوخ المحريين كنيتمبها الاتاميه بين الدوله وشيوخ المحريين عام ١٢٢٩/١٢٥٥م .

فريجه : قرية صغيرة للمحريين ومبها بعض السفن التجارية وحوالي ٥٠ نسمة من البوكارة والمتمل وهم ساكون .

البحار : هي مدينة كبيرة لكنها متهدمة الآن وبومبها على الخليج وكانت مدينة ذات اهمية تجارية في الماضي . ويقتن السكان فيها الى قبيلة الدواسر وهم تابعون للمحريين بعد هجرتهم من الديول المتهدمة . وكانت هذه المدينة مقرا رئيسيا لقبيلة العنوب حتى

وهم سماكون.

الزبارة : هي مدينة كبيرة لكنها متهدمة الآن وموقعها على الخليج وكانت مدينة ذات أهمية تجارية في الماضي. وينتمي السكان فيها الى قبيلة (أسد) وهم تابعون للبحرين. يوجد فيها عدد من الخيول النجدية. وكانت هذه المدينة مقرا رئيسيا لقبيلة العتوب حتى تفرقوا.

ربيعة : قرية صغيرة.. وبينها وبين البحرين الآن المياه الضحلة.. وغير صالحة للملاحة.. وعدد سكانها حوالى ١٥٠ نسمة وهم من عتوب البحرين.

جزر حوار : مجموعة من ٨ أو ٩ جزر.. وأكبرها حوار وطولها حوالى ٤ أميال تقع فيها قريتان للسماكين وهذه الجزر تملكها البحرين.

قلعة وجزيرة الزخنونية : تمتد الى ٤ أميال وعرضها حوالى مليون تقع القلعة غربا ويبلغ عدد سكانها ٤٠٠ من قبيلة (أسد) يعترف السكان بخضوعهم لحاكم البحرين.

ومن أطرف ما كتب عن البحرين وآل خليفة (بلجريف) حين رحل الى الجزيرة العربية وغربي الخليج العربي عام ١٨٦٢م فوصف الافلاج ثم الدوحة وسكانها ومنهم آل خليفة وعددهم وقتئذ نحو ٨٥٠ نسمة. من بين سكان الدوحة البالغ عددهم نحو ٢٦٠٠٠ نسمة.

وكتب الرحالة (بلجريف) مذكراته عن رحلته التى استمرت عامين منذ ١٨٦٢ - ١٨٦٤ فقال عن البحرين :

لقد قطعت المسافة الواقعة ما بين ميناء القطيف وميناء مدينة المنامة في زورق عربي صغير، وتقع مدينة المنامة على الطرف الشمالي لجزيرة البحرين ومقابل مرفأ جزيرة المحرق. والذراع البحرى الذي يفصل ما بين القطيف والمنامة ضحل كثيرا، وتستحيل الملاحة فوق مياه غير عميقة، وعندما يرتفع المد نادرا ما تصل المياه الى اغصان النخل المزروع هنا وهناك في الاراضى السبخة على هيئة اسيجة رباعية تمسك بالسمك الذي يرميه سوء طالع له بين هذه الجدران الورقية. ان المضيق الذي يفصل المنامة عن المحرق ضيق، وعرضه يقل عن ميلين ويبلغ من ضحاكته ان الرجل يستطيع ان يخوض فيه بسهولة ابان الجزر، فيصل من جزيرة الى أخرى. والمنامة مرفأ بحرئ كبير يبلغ سكانها ٢٥ ألف نسمة أو أكثر من ذلك وبها ساحات وأسواق واسعة كثيرة. وحصن شامخ على طرف البحر، يقطنه نائب الحاكم وهو علي بن خليفة (أما الحاكم فهو محمد بن خليفة ويقم في مدينة المحرق) وعدة بيوت كبيرة وجميلة تتألف من طابقين أو ثلاثة ولكن معظمها الآن في طريق الزوال، لقد الحق الغزو اضرارا كثيرة بتجارة البحرين وازدهارها.

وطول الجزيرة ٧٠ ميلا تقريبا وعرضها نصف طولها. والجزيرة بوجه عام منبسطة كثيرا أو منخفضة، وهي لا ترتفع أكثر من ٢٠ قدما عن سطح البحر ولا سيما في الجهات

الشمالية والغربية. أما في الشرق فتوجد سلسلة من الجبال أو من التلال على الاصح، يبدو ان أعلى قمة فيها لا تزيد على ٨٠٠ أو ٩٠٠ قدم ويساعد على بروزها الاراضى المنبسطة. والتربة خصبة في معظم الاماكن وينمو فيها الأرز وعشب الحساء وبعض الفواكه ولا سيما الموالح. ويتوفر الماء في الجزيرة وان كان مالحا في بعض الأحيان. ويعتمد السكان في معيشتهم على موردين رئيسيين هما التجارة وصيد الاسماك. أما التجارة فهي (أو بالاحرى كانت لانها تضعف يوما اثر يوم) حركة نشيطة كثيرا وتشمل دائرة كبيرة، فان سيلا دائما من التجارة يربط ما بين البحرين وسواحل عمان وايران والسند والهند الى جانب القطيف وبوشهر والكويت والبصرة. وحتى في هذا الزمن الذي ضعفت فيه الحركة التجارية نجد ان السفن الشراعية الكبيرة - بعضها بني في الجزيرة نفسها وبعضها بني في لجة الواقعة على الساحل الايراني والباقي بني في الكويت أو الهند - تأتي الى الميناء أو تقلع منه باستمرار وتزدحم البضائع المستوردة والمصدرة والبحارة ورجال الجمارك والحمالون والتجار فوق الرصيف - والكل في شغل دائم. وتزدحم فروع السوق المختلفة بالاييرانيين والنجديين والعمانيين والمغول والسنديين والهنود والزنج وتكاد هذه الازوقة ان تضيق بهم. ونجد في هذه المدينة من الحوانيت

والصناع من حائكين ومعدنين - ما يربو على ما في مدن نجد العليا جميعها ولو انهم وجدوا تشجيعا اكثر ل زاد عددهم عن ذلك كثيرا.

وتزدحم المقاهي التي حرماها السلفيون في نجد بالتجار وربابنة السفن أو من اجتمعوا لقضاء أعمالهم أو سماع الأخبار.

وتسير مواكب الزواج في الليل والنهار تتقدمها الطبول والمزامير وفرق الانشاد، ويبتهج المواطنون بذلك.

ونجد في نفس الوقت نسبة كبيرة من السكان تعمل في الغوص على اللؤلؤ. وتزدحم هذه المياه الضحلة التي تحيط بالجزيرة بمئات القوارب في المدة الواقعة ما بين شهرى ابريل ونوفمبر وتلاقي نجاحا كبيرا. وتجبي الحكومة الضرائب عن القوارب وعن اللؤلؤ ويرسل قسم من هذه الضرائب الى عمان. وسوق اللآلئ الرئيسي هو بغداد حيث يكاد اليهود يحتكرون هذه التجارة.

وتكثر الاسماك المختلفة على مسافة من الشواطىء. وتكون الطعام الرئيسي للسكان وتباع أسماك الفندر والسرطان البحرى والمقريل والربيان وغيرها بأسعار زهيدة. ولقد وجدت أن متوسط اسعار السمك هنا يبلغ ٢٠ / ١ من اسعاره في بيروت. وفي نفس الوقت نجد ان اسعار لحوم الابقار والاغنام غالية ومن نوع ردىء. ويكاد يكون لحم الجمال غير معروف هنا، على العكس من نجد، وليس ذلك خسارة

كبيرة.

أما المناخ فهو لطيف وليس بارداً وقلما يكون حره مضيقاً أما طابعه العام فهو الرطوبة الكثيرة. وهو نتيجة لذلك ليس صحياً وفي الحقيقة فإن الأماكن التي استطعت أن أزالوا فيها عملي الطبي مثل البحرين قليلة. والطابع الجسماني للسكان يختلف كثيراً عن سكان وسط الجزيرة العربية، مع أنهم يشبهون سكان الأحساء إلى حد ما فمعظمهم صغار القامة ونحفاء ولا تبدو عليهم القوة العضلية فهم في ذلك يقتربون من الجنس الهندي نوعاً ما.

ويمتازون بملامح واضحة ومتميزة ونظرات تنقسم بالذكاء وإن كانت قلما تنقسم بالحيوية. ويقوم في البحرين كثير من الهنود الذين يشتغلون بالتجارة والذين جمعوا ثروات كبيرة عن طريقها، وهم يحافظون على عادات بلادهم وتقاليدها ولا يتزاوجون أبداً من سكان البحرين. أما العرب فهم من جنس خالص النسب متميز عن غيره. كما أنك تقابل الإيرانيين كثيراً في المدن وقد اندمجوا مع غيرهم فأصبحت لا تستطيع أن تميزهم عن غالبية السكان. ومنذ عهد ليس بالبعيد كانت تعيش في البحرين جالية يهودية صغيرة، ولكن محمد بن خليفة طردهم منها.

وكان الأمير السعودي منذ بضع سنين يأخذ ضريبة سنوية قدرها ١٨٠٠ جنيه من هذه الجزيرة. وبموجب هذا يرسل إلى الجزيرة من

حين لآخر بعض رجاله ويكثر المالطيون (ولأسباب أخرى) على شواطئ البحرين وعلى ساحل الخليج كله أكثر من أي مكان آخر في الشرق. ويقوم بعض سكان البحرين في جزيرة قيس الصغيرة وإلى الأسفل منها في هذا البحر في مينائي لنجة وبندر عباس ثم في مدن البدع والدوحة والوكرة في قطر والشارقة والفجيرة وصحار والسبيل ومطرح ومسقط في عمان. وحيثما حلوا يتميزون عن غيرهم بالتفوق في التجارة والمهارة الصناعية.

إن جزيرة المحرق أصغر من جزيرة البحرين بكثير، والمرافأ الرئيسي، وهو الذي يسمى باسم الجزيرة، أقل من المنامة في الاتساع وفي السكان. ويغلب العنصر العربي على العنصر الإيراني في المنامة، والتجارة أقل نشاطاً من البحرين. والجزيرة كلها منخفضة ومستوية ولكن تربتها الرملية أكثر جفافاً من أختها على الشواطئ الضحلة ومناخها أكثر ملاءمة للصحة. وهناك قلعة مربعة منيعة تتحكم في الممر الشرقي للقناة التي تفصل ما بين الجزيرتين، ولكنها الآن مهجورة تماماً، وقد تحولت إلى مريض لخيول وهجائن الحاكم. وتوجد قلعة أخرى مشابهة لهذه وإن كانت أكبر منها بكثير - إنها حصن في الواقع - فوق أرض البحرين الرئيسية إلى الشرق من المنامة وقد جردت هذه القلعة من آلات الدفاع تجريداً تاماً. ومجموع القرى الموجودة في الجزيرة يبلغ ثمانين قرية، وبعض هذه

القرى من التي زرتها كبيرة الحجم نوعا ما، بالرغم من ان معظم البيوت ليس أكثر من سقائف مبنية من سعف النخيل وهذه هي التي يتطلبها المناخ، وتتناثر بين أكواخ الفقراء هذه بنايات كبيرة مبنية بالاجر والحجارة ومظهرها يتحدث عن الفخامة.

ونأتى بعد ذلك الى البلاد المجاورة وهي قطر. ويحكمها عدة شيوخ محليين وأهمهم محمد بن ثاني وهو رجل عجوز ممتاز اشتهر بالحكمة والروية والرقعة ويقيم في ميناء (البدع). وليست له سلطة مباشرة على الشيوخ الآخرين شيوخ الوكرة والزبارة وصور وغيرها. ولمحمد بن خليفة حاكم البحرين نفوذ كبير في هذه المنطقة^(١١).

وقام (ثيودور بنت) برحلة بحرية الى البحرين ١٩٠٠م فوصف المدينة ومنازلها وعادات الناس وتقاليدهم ثم صناعة اللؤلؤ وتربية الخيول وزراعة الفواكه. وقد زار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وولي عهده الشيخ حمد في الرفاع والتقى بالشيخ عبدالله بن عيسى وسعد بن عمر أمير المنامة وهو رجل كبير السن قد بلغ نحو ستين عاما. كما زار القبور المقببة في عالي ومدرسة في (بوزيدان) وسوق الخميس وفيها مسجد صغير كان الشيخ عيسى يصلي فيه ويقربه بركة صغيرة. وبعد أن اوردنا طرفا عما كتبه بعض الرحالة والذين مروا بالبحرين نختتم بالرحالة (بانال) وهو ضابط برتبة نقيب في الفيلق الثالث بالجيش

الفرنسي وكان قبطانا يقود سفينة أو زورقا اسمه (لاسوربرايز) ومعناها (المفاجأة) وابحر بانال على ظهر سفينته هذه في ١٩٠٨م من البصرة الى بومباي في الهند عبر الخليج العربي مارا بالكويت فالبحرين فقد ابهر في يوم الجمعة الثالث من شهر ابريل ١٩٠٨م من الكويت بعد ان قضى عدة أيام في الكويت وقابل شيخها واتجهت السفينة صوب البحرين والرياح تدفعها ويقول : فمررنا بجزر صغيرة ومنخفضة يصعب النزول فيها كجزيرة (فارسي) التي لا يزيد طولها على ثلاثة أمتار (كيلو مترات) وتبعد عن اليابسة نحو ٦٠ ميلا اما جزيرة (عربي) فطولها ٠,٩ كم وتبعد عن اليابسة نحو اربعين ميلا. ولما كان هناك تيار شديد للمد والجزر فقد كنا مضطرين الى تحديد مكان وجودنا باستمرار معتمدين في ذلك على حسابات فلكية. ولكي نعبّر نحو البحرين في الظلام الدامس فقد كنا نسير في وسط حلقة من الجزر والفضوت الصغيرة في تيار غير مستقر من المياه ويواجهنا كثير من الصخور التي تعلو نحو خمسة امتار في داخل الماء ولا يمكن والحالة هذه الرسو في هذه المياه الا للقوارب الصغيرة وكنا نعتمد على الآلات البحرية لمعرفة الاتجاهات ليلا حتى اذا طلع الفجر اتجهنا صوب (فشت الجارم) بعد ان شاهدنا طوافة على بعد خمسة اميال وكان الطقس جميلا لذا لم ننزل في هذا الفشت وواصلنا السير باتجاه غربي

ساحلها والقينا المرساة على بعد ٨٠٠ متر من الجنوب و٣٠ مترا الى غرب الاشارة اللاسلكية ثم سرت غربا فوجدت ان الاعماق قريبة منا فتحولت على بعد ٦٠٠ متر من الاشارة اللاسلكية ولم يعد المكان صالحا الا لرسو السفن الصغيرة واصبحنا على بعد ميل ونصف من البحرين. وجدير بالذكر فان للبحرين أهمية اقتصادية عالمية فيها اللؤلؤ بأعماق

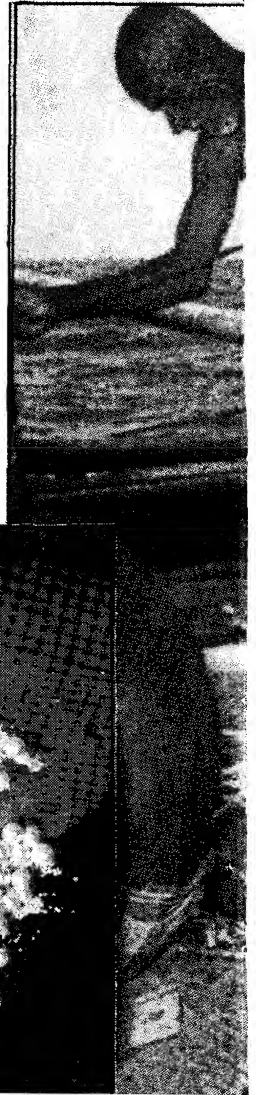
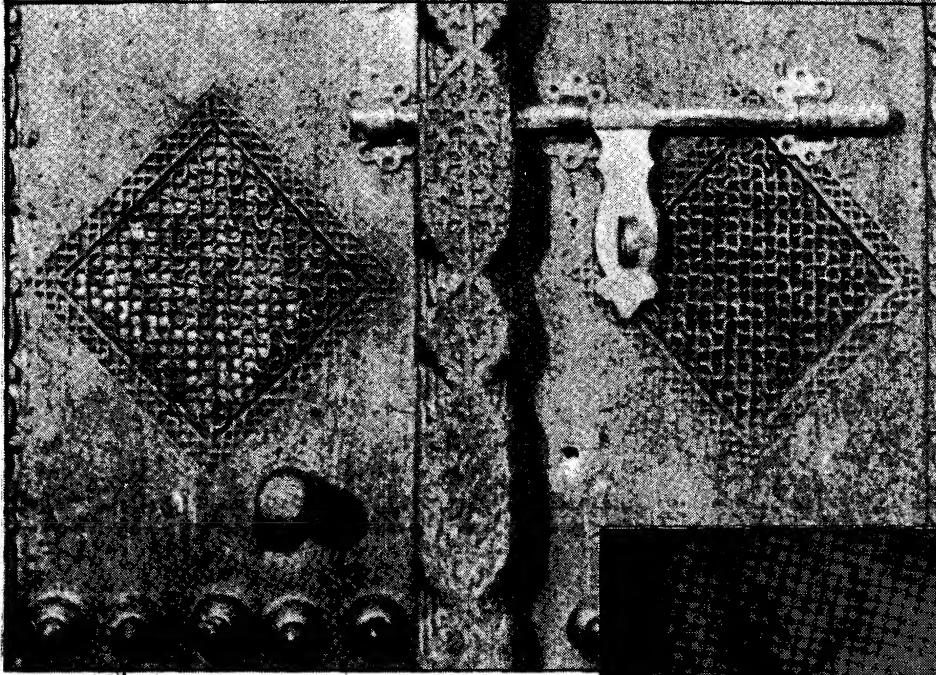
ثم جنوبي نحو جزيرة المحرق واصبحنا على بعد ميلين منها ولكن لم نعرف مدى الاعماق لعدم وجود جهاز يكشف لنا ذلك. ولم نشاهد جزيرة المحرق الا بعد ان اصبحنا على قرب منها وتبدو في شمالها الابراج وقد مررنا بجزيرة (بوسعفة) ثم اتضحت لنا رؤية الجهة الغربية من المحرق. وشاهدنا على بعد جبل الدخان ثم الاشارة اللاسلكية ثم قلعة تقع على



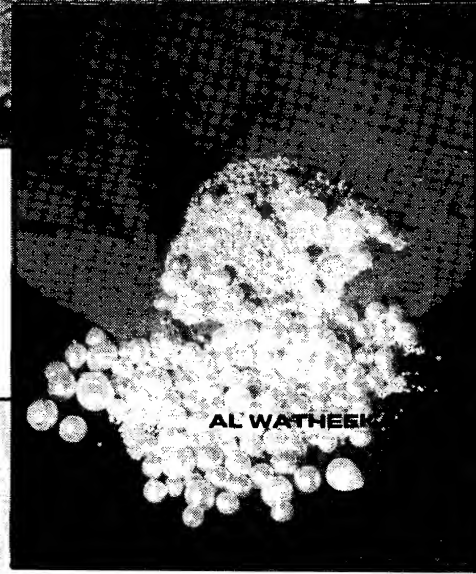
اللؤلؤ واصبحت مهنة تجارة اللؤلؤ صعبة لأن التجار المحليين يشيعون الأخبار بارتفاع اسعاره كما ان الأزمة الامريكية احدثت انعكاسات سلبية على تجارة اللؤلؤ.

وتأتى أهمية البحرين لقربها من القطيف والموانئ الصغيرة الأخرى على سواحل المنطقة الشرقية للجزيرة العربية والتي لا يدخلها الا الزوارق المحلية وغالبا ما يحصل التبادل

قريبة ويكثر صيده في موسم الصيف بواسطة غواصين ويقوم التجار المحليون ببيعه ثم تصديره الى بومباي والعملة المتداولة هي الروبية الهندية وفي السنة الماضية قام اثنان من السماسرة الفرنسيين وهما (روزنتال) و (مايل ماثان) بشراء كميات كبيرة من لؤلؤ البحرين وكان روزنتال يأتي سنويا الى البحرين اما مايل ماثان فقد أعلن افلاسه بعد حصول أزمة



● اللؤلؤ .. أو الشهرة التاريخية لجزر البحرين والتي طبقت آفاق العالم بهذه السواعد الكادحة تستخرج اللآلئ لتزين تيجان الملوك والسلاطين في مختلف أنحاء المعمورة.



التجاري مع موانئ هذه المنطقة وكثيرا ما كانت البحرين مستودعا للبضائع ومقرا للشركات التجارية الكبرى كما يمتاز ميناء البحرين بصلاحيته لرسو السفن فهو يتسع للسفن الكبيرة ومحمي من الرياح الجنوبية (الكوس) والرياح الشمالية حيث تحميه صخور فشت الجارم الذي يتصدى لأمواج البحر وان كان لهذه الرياح اثرها على الزوارق الصغيرة وكثيرا ما يغلق الميناء عند هبوب الرياح الشمالية. وفي حالة الجزر تقف السفن على بعد مائتي متر من اليابسة حيث توجد الحمير الكبيرة الحجم لنقل الركاب والسلع الى رصيف الميناء. ويوجد المقر الانجليزي في الناحية الشمالية من المدينة حيث لا يتسنى لنا النزول هناك الا عندما تكون المياه عالية. ومدينة (المنامة) مدينة عربية يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة وهي اقل نظافة من غيرها من المدن وبعض أسواقها ليست ذات أهمية تجارية ويسكن فيها المقيم البريطاني النقيب (بريدو) وكذلك المقيم التجاري (فولكهام) ويمثل احدى الشركات الانجليزية كما ان فيها بعض المبشرين الامريكيين الذين يسكنون منزلا جميلا قرب المقر الانجليزي وهؤلاء المبشرون لم يحصلوا على أية نتيجة لصالح دعوتهم الا انهم قدموا خدمات بواسطة المستشفى الذي اقاموه في البحرين. أما المقيم الانجليزي فيسكن في منزل جميل

يضم عددا من الخدم ويعتبر النقيب (بريدو) من الشخصيات البارزة وحين لقائى معه اكتشفت فيه مودة كبيرة معي الى درجة انه وضع نفسه في خدمتي. وبما ان البحرين كانت وقتئذ تحت الحماية البريطانية فقد كان دورى اكثر سهولة ولم اتعرض لأية مضايقات وقد طلب النقيب (بريدو) من الشيخ ان يستقبلني ووضع مترجمه الخاص تحت تصرفي وكان الشيخ يسكن مدينة المحرق التي تبعد نحو ثلاثة أميال بحرا ونظرا لأن الصخور تحيط بالمحرق فقد كان مستحيلا الوصول اليها الا اذا كانت المياه عالية فمدينة المحرق أنظف من مدينة المنامة وتفوقها في عدد سكانها الذي وصل الى ٣٠ ألف نسمة الا ان المحرق تبدو اقل حيوية من مدينة المنامة.

واستقبلنا شيخ البحرين (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة) الذي كان معه ابنه حين وصولنا كما لاحظت ان الشيخ وابنه كانا قد اعتنيا بلباسهما كثيرا وكان الشيخ المسن عيسى بن علي آل خليفة هو أقدم شيوخ المنطقة وكلما رأى أجنبيا سر بالحديث معه ولكنه كان بالغ الحذر في احاديثه معنا. ولا أعلم هل سبب ذلك لحضور مترجم المقيم معنا أو بسبب آخر؟ ومع ذلك فقد سمح لنا بأخذ صورة معه دون الحاج.

وقد سبق أن أكدت على ان قوة الشيخ نابعة أساسا من صلابة شخصيته.

ولم نشاهد أية سفينة فرنسية في البحرين قبل سفينتنا (السربايز) فقد فهمنا مدى قلق هؤلاء الاشخاص (وهم الانجليز) وحذرهم من الخطر الداهم.

واكد لي النقيب (بريدو) انه لا يتدخل في شئون الشيخ الداخلية وانه يتركه يحكم دون احراج الا اننا رأينا على باب المقر الانجليزي نسخة من القوانين الجمركية وهي معلقة في لوحة هناك والتي تعهد بتنفيذها الشيخ وقد كتبت بأسلوب شرقي مثلما رأينا ذلك في الكويت. وعلى الرغم من وجود الحماية البريطانية على البحرين وغيرها من دول المنطقة الا انها تترك للحكام وللسكان المحليين تدبير شئونهم بدليل ان المقيم لا يرى الشيخ الا مرة واحدة في اليوم. فالبحرين ذات أهمية لانجلترا وهي تمثل المحور الاساسي للاتصالات البحرية المكثفة وتشرف على أبواب نجد والتي تؤدي الى القلب النابض للعالم العربي في جزيرة العرب ومن هنا أيضا نستقصى الاخبار ولا اعتقد ان اصطياد اللؤلؤ مدعاة لاهتمام مكثف من طرف الانجليز بل انه من حين لآخر نشاهد سفينة حربية انجليزية تقوم بالمراقبة. وقد أخبرني الوسيط الدبلوماسي الالماني بأن هذه المنطقة خالية من الغزاة وان صناديق الروبيات تنقل من مكان لآخر ومن شخص لآخر في أمن وسلام دون تهيه وسائل أمنية كنا قد تعودنا عليها. وقد سبق ان لحقت بالتجارة البحرينية أزمة من جراء

انهيار التجارة الامريكية اذ لم يجد اللؤلؤ سوقا رائجة في هذا العام. الا ان تجارته في المنطقة العربية اكثر نشاطا رغم اعتقاد الوسيط التجاري الالماني بأن المنطقة العربية لا تستهلك الا القليل من اللؤلؤ.

وكان النقيب (بريدو) في غاية اللطف معنا وقد جعل تحت تصرفنا خيله وسياراته عندما ذهبنا معه لمشاهدة القبور المقبية التي اكتشف ما فيها من آثار غريبة كما انها تظل لغزا لم يحل بعد.. وقد مشينا لبضعة كيلومترات داخل منطقة القبور المقبية وكانت تحتل مسافة تقدر بنحو ثمانية أميال طولا وثلاثة أميال عرضا وتكاد تكون القبور متشابهة ولكنها متفاوتة الأهمية. وقد فتح النقيب بريدو عددا كبيرا من هذه القبور القديمة مما أمكننا مشاهدتها من الداخل فوجدنا بها غرفا للموتى مبنية بالاسمنت وفيها بعض الهياكل العظمية وسبق ان عثر على بعض الاختام والجواهر ولكنه لم يعثر على اي أثر مكتوب.

أما علماء الآثار فلم يحددوا بعد الحقبة التاريخية التي بنيت فيها هذه المقابر أو جنسية اصحابها ويعتقد (بريدو) ان البحرين كانت مقرا مقدسا لسكان الأرض كالذي نشاهده في بلاد ما بين النهرين ومن الممتع التعرف أيضا في البحرين على ينابيع عيون المياه العذبة المنبثقة في وسط البحر فالماء العذب وفير الى حد ان السكان يزرعون النخيل ويسقونه بمياه الينابيع العذبة غير ان النجاح

يبقى دون مقارنة مع انتاج نخيل شط العرب، والمنتجات البحرينية قليلة جدا اكثر المواد مستوردة خاصة المواد الغذائية لذا فهي أغلى من البلاد المجاورة ولدى البحث عن بعض السلع لنشتريها وجدنا ان البضائع الالمانية ارخص من الانجليزية.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة صباحا من السادس من ابريل ١٩٠٨م غادرنا البحرين فكانت الرياح الشمالية باردة وهي تعصف فتدفع بسفينتنا وهذا ما جعلنا نصل بسهولة الى الجهة التى نقصدها وهي (مسقط).

ثم اصبح الضباب يمنع الرؤية فلم يعد يظهر جبل الدخان بوضوح ولا المآذن القديمة ولكن يظل الحصن أو القلعة البرتغالية (قلعة البحرين) وفنار السفن وجزيرة المحرق وجزيرة بوسعفه كدلائل هامة يهتدى بها

الملاحون. وبعد خروجنا من البحرين هبت علينا ريح هادئة اختلطت بنسيم البحر فرفعنا الشراع غير ان أحد الأشرعة انكسر فاضفنا له رافع الشراع العملاق ودفعتنا الرياح نحو الجنوب الشرقي فوق الاعماق العالية في منطقة (الديبل) وكانت سرعتنا تشير الى تسع عقد ثم مررنا بين (بونايير) و (سارى) على بعد عشرة أميال من جنوب (ابو موسى) ووفقا لاتجاه الرياح وقوتها التى بلغت سبع عقد والامواج ستة أمتار فقد اصبحنا نقود الباخرة بحذر شديد متبعين اتجاه الرياح لكيلا نتعرض الى لطمات الامواج الشديدة وكان الجانب الخلفي من السفينة مثقلا بعبورة حتى وصلنا الى مضيق هرمز ثم وصلنا مسقط واقمنا بها من ٨ - ١٣ ابريل ثم اتجهنا الى بومباى في رحلة يطول شرحها^(١٢).

المراجع

- (١) اسفار فارتيما ص ٩٤
- (٢) دوارتي باربوسا. ص ٨١ و ٨٢. والوثيقة ١٦٦/١٥ و ١٦٣
- (٣) الوثيقة ١/ ص ١١١ و ١٥٤ و ١٥٥
- (٤) جون ببتسته ، ستة اسفار بحرية ص ٩٤ و ١٤٥ طبع لندن ١٦٧٢.
- (٥) جين اوتر. الرحلات في تركيا وايران. ص ٥٦ و ٥٨ المخطوط في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية في باريس رقم اف. ٩٨٩ والمطبوع في ١٧٤٨م.
- (٦) اسفار اباكاري في الهند والشرق الأدنى ص ١٠١.
- (٧) وليام هويدي. رحلة بحرية في الخليج ورحلة برية الى الهند من انجلترا عام ١٨١٧م ص ٤٦. طبع لندن ١٨١٩م.
- (٨) تقرير من بومباي في ٢٢ اكتوبر ١٨٠٢م.
- (٩) ولستد. الاسفار الى مدينة الخلفاء عبر الخليج والبحر المتوسط ص ١١٤ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٧.
- (١٠) الوثيقة ١١٨/١٠ - ١٣٦
- (١١) الوثيقة ١٤٠/٩ - ١٤٢
- (١٢) بانال/زورق الانزال (المفاجأة)/الاسعد الزمني .